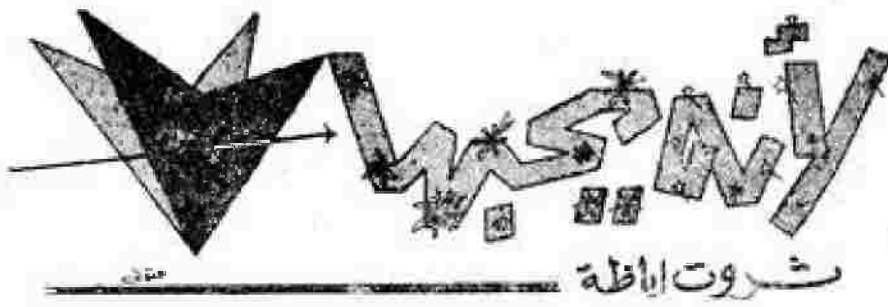




وفي ظلال هذه المشاعر عاشت حياته جميعها ، أحب . أحب بكل ما في الحب من نبض جياش وبكل ما في الشباب من اندفاع وقوة . أحب زميلته في الكلية الهام . ولكن أمه عرفت بحبه وقالت لا . فإذا نبض الحب يصبح نبضا خائفا هالعا أن يفضب أمه . وإذا هو يبتعد عن حبيبته مذعورا ويعود الى طاعة أمه راضيا بها عن كل ما في الحب الشباب من أحلام وآمال ورؤى .

وما هو ذا اليوم ينتظر نتيجة الليسانس . تلك الشهادة التي جاهدت أمه في سبيلها أكثر ما جاهد هو . . . انه يريد الشهادة ليذهب الى أمه ويعلن اليها أن جهودها قد كللتها النجاح . . . وينطلق الى الحياة . . . كان في البعيد البعيد من نفسه يخيّل اليه أن هذه النتيجة التي ستعلن الآن ستحمل في طواياها معنى آخر غير معنى النجاح . . . انها ستحمل له قرار الافراج عنه من سيطرة أمه . . . شعور يخامرهم ولا تعلنه نفسه الى نفسه . كأنما كان يريد أن يقول لها في غير الفاظ . لقد جاهدت لأحصل على الشهادة فهل يكفيك الشهادة مكافأة على جهادك . وكأنما كان ينتظر أن تقول أمه في غير الفاظ هي أيضا لقد صرت رجلا فافعل ما بدا لك آمال

وقف حسن عبد الفتاح أمام باب كلية الحقوق ينتظر وزملاؤه نتيجة الليسانس . لم يكن يحس بأحد حوله . انفصل كيانه عن الجموع المتراخمة فهو فرد في نفسه وفي آماله وفي مخاوفه لا يحس الا هذا الوجيب الآخذ الذي يهز جسمه هذا . . . انجاح فانطلاق الى الحياة بكل ما في الحياة من حلاوة الكفاح فما كان يرى في النجاح والانطلاق الى الحياة الا الحلاوة . أم سقوط فهو تلميذ سيظل . وهو حينئذ سيعود الى أمه كسيف البال مخذولا يخاف من غضبها خوفا قد يطفى على حزنه من السقوط . ان تفكيره في أمه يمازج تفكيره في النتيجة فهو حينما يفكر في المواد مادة مادة ويذكر كيف أجاب في كل مادة منها وهو أحيانا كثيرة يفكر في أمه كيف قامت على شأنه بعد موت أبيه وكيف بذلت له من دماؤها ومالها وجهدها حتى جعلته يصل الى نهاية المرحلة العالية من التعليم .

لقد قامت بواجبها نحوه بل بذلت أكثر من واجبها فكم يمضيه أن يقصر هو عن واجبه . كان ارضاء أمه أساسا تقوم عليه حياته جميعا فقد كان يرى نفسه نفحة من جهودها وقبسة من دماؤها بل كان يرى نفسه أملها الضخم الذي عاشت له وبه سنوات طويلة ثمينة شابة من حياتها .

تهجس في الخوافى البعيدة من نفسه
وهو واقف بباب الكلية عينه لا ترتفع
عن الباب الكبير ينتظر أن يخرج منه
الموظف المختص ليعلق أسماء الناجحين
على تلك اللوحة المائلة بجوار الباب .
التي قدر لها أن تحمل أغلى ما يطمح اليه
جميع هؤلاء الواقفين في لحظتهم تلك .
هذه اللوحة الكالحة ستحدد مصير كل
فرد منهم وعينا حسن عبد الفتاح
شاخصة الى الباب الكبير والباب صامت
لا يبين عن أحد .

وأخيرا ظهر الموظف وبيده الأوراق .
وبعد محاولات عسيرة وقعت عينا حسن
على اسمه بين الناجحين . ولم يحس
بنفسه الا وهو واقف أمام أمه يخبرها
وعيناها تموجان بالدموع . . . لقد
نجحت .

وفرحت الأم . . . ولكنه لم يجد
عندها ما كان يتوقعه من فرح
كانت واثقة من نجاحه . كأنما كان
نجاحه أمرا تصنعه يديها فهي واثقة
من نتيجته وقد أكد هذا المعنى في
نفسه أنه وجدها قد أعدت له الوظيفة
دون أن تسأله عن الاتجاه الذي يريد
أن يسقيه في الحياة . . . وخيل اليه أنه
قبل الوظيفة سيستطيع أن ينعم
بحريته من ربة أمه فهو يقبل الوظيفة
في غير مناقشة ويصبح موظفا . ولا
يعضى كثير زقت حتى تفاجأ أمه :

حسن .

— نعم يا نينا .

— لقد خطبت لك .

— ماذا ؟

— سناء بنت عمك علي أبو العلا .

— تقصدين بنت صديقتك شريفة

هانم .

— ما رأيك .

— أتسألين عن رأيي حقيقة .

— طبعاً .

— أتسألين عن رأيي بعد أن تخطبي .

— أنت حر .

— أنا حر .

— طبعاً .

— فانا لا أريدها .

— ماذا .

— أنا لا أريدها .

— لماذا .

— لأنني لا أريدها .

— ولكنني أريدها .

— انه أنا الذي سيتزوج .

— وأنا أمك .

— هذا شيء لا يمكن أن أنساه .

— ماذا تقصد .

— أقصد أنه لا فائدة . . . فسواء

عندك وافقت أم رفضت .

— تعني أنك موافق .

— أمرك .

وما هي الا أيام حتى يتم كتب الكتاب
وما هي الا أيام أخرى حتى يحل يوم
الزواج . ويترك حسن البيت ويخرج
الى الطريق . في هذه المرة لم تكتف
أمه أن تفرض سيطرتها عليه ولكنها
فرضتها بقوة وعنف على فتاة لا تمت لها
بصلة . ما ذنب هذه الفتاة . . . كيف
يتزوج من فتاة لا تحبه ولا يحبها . أنها
أمه . . . ماذا يصنع ، وماذا صنع قبل
اليوم حتى يصنع اليوم . انه هو ، هو
لم يتغير ولم تتغير أمه . ويجول في
الطرقات يسلمه شارع الى شارع
ورأسه توج بالسخط والضيق بلا أمل
على الإطلاق .

ويعود الى البيت في الموعد المقدور .

وتنطلق الزغاريد وتعالى الموسيقى

وينظر الى وجه زوجته وتنظر الى وجهه
وكانما هما متفقان على المعاني التي
تدور بنفس كل منهما ولكن ماذا
يصنعان . كان يحس انها ايضا واقعة
تحت سيطرة أبيها وأما كما يخضع هو
لسيطرة أمه . ان أمه تستطيع ان تفعل
به ما تشاء . . . استطاعت ان ترغمه
على اختيار كلية الحقوق واستطاعت
ان ترغمه على المذاكرة بل واستطاعت
في قوة عاتية ان تحطم حبه الأول ولكن
استطيع ان تنشئ حبا ؟ هل تستطيع
أمه ان تجعله يحب هذه الفتاة او
تجعل هذه الفتاة تحبه . كيف ؟ لماذا
لا يقول « لا . . لا » صارخة واضحة
جهرية لا لبس فيها ولا غموض ولا
ابهام . لا . . ويترك أمه ويعيش
وحده حتى يجد هواه

نعم . . ان أمه قد بذلت في سبيله
الجهد والخوف والعطف ولكن الا
تبذل كل الامهات . وهل معنى هذا
أن تنتهب حياته جميعا بل وتنتهب
حياة فتاة أخرى لا ذنب لها الا ان أمها
صديقة أمه . . .

ليست كلمة لا ستنقده وتنقذ هذه
الفتاة المسكينة الجالسة أمامه . .
ما ذنبها . . مسكينة انها حلوة . . .
جميلة غاية الجمال . . لعله كان
يختارها اذا ترك وشأنه . انه يحب
هذه العيون الحاملة للدمعة . ويحب
هذا الشعر الاسود المنساب . ويحب
هذه الابتسامة التي تجرها الى قممها
جرا . . ويحب هذا العود الواهن كأنه
طيف ، الرقيق كأنه فكرة ، الشفاف
كأنه حلم . هو يحب هذا جميعه ولكنه
لا يحب سناء . وكيف له ان يحبها وهو
لم يفكر فيها زوجة الا حين امرت أمه

ان يتزوجها . فاذا هي زوجته .

كلمة واحدة هي : « لا » يستطيع
ان يقولها في هدوء وفي حزم فينهى
هذه المأساة التي تحيط بها الزغاريد
وتتعالى لها الموسيقى الفرحة وتنطلق
لها الأغاني وتودق الطبول ، « لا »
حرفان يمنعان المأساة ان تتم فصولا .
وليكن بعد ذلك ما يكون .

ورنا الى زوجته . . ترى أيرضيها
هذا . . كم هو قاس ذلك المجتمع . .
ان فعل ما يريد ان يفعل اصاب هذه
الفتاة التي يشفق عليها بطعنة لا سبيل
لها ان تنجو منها . ستتطاير الاقارب
وتتدافع الشائعات . . . ان العروس
لا تعجبه . . . طعنة تصيب المرأة في
اعظم ما تزهى به . . ايها أحسن
عندها . . ان يخلصها من حياة لم يكن
لها يد في اختيارها . . . أم ان تظل
زوجته ولا يقول الناس عنها انها لم
تعجب زوجها فرفض ان يتم الزواج .
وأين كانت « لا » هذه قبل اليوم لماذا
خضع حتى تم هذا جميعه ثم انتفض
فجأة يريد ان يمحو ما كان . . . وهل
يمحي . كيف ؟ . . ما ذنب هذه
المسكينة حتى ترمى الى هذا الموقع
الضنك وما ذنبه هو ؟

والموسيقى تتعالى والزغاريد تنطلق
والأغاني تصدح والشعور بالفرح يفيض
على وجوه الجميع الا وجهين . . وجهه
وقد تشنجت عليه ابتسامة ووجه
العروس وقد جمدت على قممها ابتسامة
مثل ابتسامته .

وانقضى الليل وتخافتت الموسيقى
ووهنت الزغاريد وثشتت الجمع وخلا
الزوج الى زوجته واقلبت من دونهما
الحجرة . وكان بها كرسيان . وجلسا



وهوم الصمت حيناً ... ثم طال هذا
الحين . هو مطرق خزيان وهى مطرقة
مدعورة . فى رأسه دوامة من الأفكار
وفى رأسها امواج من الحيرة .

وفجأة نظر اليها وهم أن يقول شيئاً
ثم أطرق . وهمت هى أن تقول شيئاً
دون أن ترفع رأسها ولكنها ما لبثت
أن عادت الى الصمت .

وأحس بطول الصمت وصمم أن
يقول شيئاً ... أى شئ ورفع رأسه
وفتح فمه وفكر وفكر ... وأخيراً قال
دون أن يهتدى الى ما يجب قوله :

— آسف

ونظرت اليه فى غير دهشة وقالت
دون تريث :

— وماذا تفيد آسف الآن ؟

— وماذا كان يمكن أن أفعل ؟

— لست حراً

— وانت

— أنا ... أنا على كل حال لست

مثلك

— اننى امام أمى ...

ولم يستطع أن يكمل جملته

— لماذا ... لماذا

— ليس لها غيرى .. وليس لى

غيرها

— ولكنها حياتك

— المصيبة أنها حياتك أنت أيضاً

— هل أمك قاسية الى هذا الحد ؟

— انها تظن انها رحيمة أكثر مما

ينبغى

— ألا تؤمن بحريتك فى الاختيار

— انها تؤمن بحريتى التامة مادمت

لا أعصى أوامرها

— ولكنها حياتك

— هى لا تفصل كثيراً بين حياتى
وحياتها

— وحياتى

— ستصبح حياتك هى حياتى

وهكذا ترين انها جميعاً حياتها هى

— وماذا سنفعل الآن ؟

— لقد تعودت منى الطاعة . . .

ولا أظننى الآن أستطيع أن اتخلص من
هذه العادة

— تعودت أن تطيع فى شأن نفسك

أما فى شأنى أنا

ونظر اليها طويلاً .. انها حلوة ..

خيل اليه انه يحبها .. بل كاد يوقن

انه يحبها .. هى الفتاة التى طالما كان

يرسم صورتها لهواه .. وهى مستكينة

تشكو اليه الظلم الواقع عليها فى غير

عنف ولا ثورة ولكن فى حنان وفى دفء .

ووجد نفسه يقول :

— أيفضبك أن تصبحى زوجتى ؟

— لعلى كنت أتوق الى هذا لو أنك

سألتنى وأنا لست زوجتك

— فلماذا لا تجربين وقد أصبحت

زوجتى

— ألا تعرف ؟

— نعم ... أعرف ...

— اتجبن غيرى ؟

— أبداً

— أذن

— أيرضيك أن أحس دائماً أنك

فرضت على فرضاً ... أترضى لنفسك

هذا

— لقد تعودت أن أرضى لنفسى

ما لا أحب أن أرضى

— أيرضيك هذا لى ؟

- أعرف اننى أحببتك

- أحسست

- ألا يكفيك هذا الاحساس ؟

- وماذا عنى أنا ؟

- فانت لا تحبيننى

- وانت زوجى المفروض على ...

- جميلة هى الحربة

- اعرفتها ؟

- تمنيتها

- فلماذا لا تسعى اليها

- لم أستطع فيما مضى

- فلا أمل لى اذن

- بل يخيل الى ان هناك وميضاً

من أمل

- كيف ؟

- لن تكونى زوجتى

- وأمك ؟

- اطعتها فى كل ما يتصل لى ولكنى

لن اطيعها فيما يتصل بك

- اذن فانت تحببى حقاً

- لقد أدركت هذا باحساسك ..

انعودت ان يكذبك احساسك ؟

- لا

- اذن

- أخشى ان يمنعك حبى عن تنفيذ

ما تفكر فيه

- بل ان حبك هو الذى سيدفعنى

ان أنفذ ما افكر فيه

- سنرى

- متى تريدان ان يتم هذا

- متى تشاء

- لا أريد أن يمسك أحد بسوء

- فمتى اذن ؟

- بعد عام

- اليس طويلاً ؟

- متى تشائين

- نصف عام

- نصف عام

ونام على الأريكة ونامت على السرير

وظلت الأريكة مكان نومه ستة اشهر .

ثم قال حسن لزوجته :

- اتدركين كم أحبك ؟

- نعم

- وسيزداد يقينك اليوم

- اذن فانت تذكر

- نعم

- اذن

- فانت طالق . . . طالق لانى

أحبك .. نعم لانى أحبك .. ولعلك

بمسد أن تصبجى حرة ... لعلك

ترضين ..

- لا تكمل

- أهو الرفض اذن

- لا ... ولكن لا أريدك أن تطلقنى

بشرط

- لا ... وبغير شرط

- وأمك ؟

- سأطلقك

ولم تمض ساعات حتى كان الماذون

يحرر ورقة الطلاق . وكانت ابتسامة

فرح ترفرف على شفتى سناء وأخرى

على شفتى حسن . وكانت الدموع

تنهمر من عيني أمهم ... لقد أدركت

أنها فقدت سيطرتها عليه الى الأبد .